المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العـــدد 18 A آب 2025
No.18 A August 2025

رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي (ت٤٢٦هـ) بوصفها متوالية قصصيّة

م.د صابرين خلف حسين
جامعة ميسان/ كلية التربية الأساسية/ قسم اللغة العربيّة
Sabreenkhalaf@uonmisan.edu.iq

الملخّص

يضمُّ تراثنا العربي السردي كنوزًا معرفية وبيانية وأنواعًا سردية، فلو نقبنا فيه لوجدنا أنماطًا متنوعة، تدل على رُقي العقل العربي في عصوره المتقدمة، ومن ذلك مفهوم المتوالية القصصيّة فعلى الرغم من حداثة المصطلح من الناحية التنظيريّة إلا إنّنا حين بحثنا في تراثنا السردي العربي وجدنا متواليات قصصية ومنها (ألف ليلة وليلة) و(مقامات بديع الزمان الهمذاني)، أمَّا في الأدب الأندلسي وجدنا (رسالة التوابع والزوابع). حيث توفرت فيهنَّ مجموعة من الخصائص جعلت منهنَّ متواليات قصصيّة، إذ ترتبط قصص التوابع والزوابع بعدد من العناصر السردية، ومنها عنصر الشخصية، لا سيما الشخصية الرئيسة والتي تتمثل في شخصيتي (ابن شُهيد الأندلسي) وتابعه من الجان (زُهير بن نمير)، والرباط الثاني الراوي، وقد جاء في جميع القصص بصيغة الراوي المشارك، والرباط الثالث المكان الذي وقعت به كل أحداث القصص، أمّا ا لرباط الأخير فهو الثيمة القصصية أو الفكرة العامة أو المغزى العام لكل القصص، فوجود هذه العناصر جعل من رسالة التوابع والزوابع متوالية قصصيّة بكل ما تحمله المتوالية من خصائص سرديّة.

الكلمات المفتاحية : الـمتوالية القصصيّة، التوابع والزوابع، ابن شهيد الأندلسي

Ibn Shuhayd al-Andalusi's Al-Tawabi' wa al-Zawabi' as a Story Cycle

Sabreen Khalaf Hussein
University of Maysan
College of Basic Education
Department of Arabic

Abstract

Our Arab narrative heritage contains treasures of knowledge, rhetoric, and narrative genres. If we delve into it, we will find diverse patterns, demonstrating the sophistication of the Arab mind in its early eras. This includes the concept of the narrative sequence. Despite the theoretical novelty of the term, when we research our Arab narrative heritage, we find narrative sequences, including One Thousand and One Nights and the Maqamat of Badī' al-Zaman al-Hamadhānī. In Andalusian literature, we find the Epistle on the Followers and Whirlwinds. They possess a set of characteristics that make them narrative sequences. The stories of "The Followers" and "The Whirlwinds" are linked by a number of narrative elements: character, particularly the main character, represented by Ibn Shuhayd al-Andalusi and his jinn follower, Zuhayr ibn Numayr; the narrator, who appears in all the stories as a co-narrator; the setting in which all the story's events take place; and the narrative theme, general idea, or overall meaning. The presence of these elements makes the message of "The Followers" and "The Whirlwinds" a narrative sequence with all the narrative characteristics that asequence entails .

Keywords :Story Cycle – Al-Tawabi' wa al-Zawabi' – Ibn Shuhayd al-Andalusi

أولا: ابن شُهيد الأندلسي

هو أبو عامر أحمد بن أبي مروان عبد الملك بن مروان بن أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد"[1]. ولد في قرطبة عام (382هـ) من أسرة قرطبية مرموقة[2] . كان أفرادها يتولون بعض المناصب المهمة في الدولة الأموية في الأندلس في عهد عبد الرحمن الداخل وقد " كان جده عيسى بن شهيد حاجبًا للأمير عبد الرحمن بن الحكم، و جده أحمد بن عبد الملك كان من قادة الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله أحمد بن عبد الملك ومن وزرائه ، وهو أول من تسمى بدي الوزارتين في الأندلس. كما كان أبوه عبد الملك من وزراء الخليفة هشام المؤيد بالله و من قدماء الحاجب المنصور "[3] .

يُعد كتاب التوابع والزوابع من أشهر ما جادتْ به قريحة ابن شهيد، وتذكر المصادر أنَّ دافع كتابته من قبل ابن شُهيد كان دافعًا شخصيًا ، فقد كان يشعر بأنَّه لم ينال عناية النقاد والأدباء، ولم يكرموه كما يستحق، إذ كان يلتمس منهم تقديرًا وتكريمًا أعلى من معاصريه[4].ويذكر محقق كتاب التوابع والزوابع أنَّ ابن شُهيد كان كثير الأنداد وأنَّه لاقى منهم عنتًا وازدراءً، فثأر لنفسه أدبيًّا من خلال كتابه هذا، وعرّاهم من الفطنة وسلامة اللغة وحسن البيان، فكان الغرض من كتابة التوابع والزوابع الطعن بأنداده ومنافسيه من الوزراء والأدباء، وإثبات مهارته وتفوقه عليهم[5].

ثانيا: مفهوم المتوالية القصصيّة

المتوالية القصصية نوعٌ حديث من الكتابة السردية، وهي مجموعة قصص قصيرة تُكتب كمشروع أدبي واحد، حيث ترتبط جميع القصص بعضها ببعض من خلال المكان أو الزمان أو الشخصية أو أي رباطٍ آخر. .فالمتوالية القصصية جنسًا أدبيًا مستقلًا، مختلفا عن الرواية والمجموعة القصصية. ولو وضعنا الأجناس الثلاثة على خطٍّ مستقيمٍ لتوسطت المتوالية منتصف هذا الخط.

فالمتوالية القصصية مشروع واحد وكتاب مكتمل وضع له الكاتب خطة مسبقة وقرر مسبقا ربط القصص برباط لتكون متوالية، وتركز على فكرة واحدة. ويكون الترابط بين قصصها بأحد عناصر السرد ويمكن أن نسميها روابطًا تقليديةً كالراوي والمكان والشخصية، أو يكون الرباط غير تقليدي كالفكرة التي تدور عليها قصص المتوالية كلها. وربما قائل يقول هنا: توجد روايات تتمحور أحداثها حول شيء معين من بدايتها حتى نهايتها. فنقول انّ الرواية تدور حول هذا الشيء باستمرار بدون توقف وهو في هيئة معينة وثابتة، أما المتوالية فإذا دارت حول شيء معين فهي في كل قصة تأتي بهيئة جديدة أو تتناوله من زاوية مختلفة وجانب مغاير[6].

وقد يكون الرباط بين القصص هو الثيمة المشتركة لكل القصص، فهذه الروابط يمكن أن نسميها روابط إبداعية، فهي إبداع يزاد على إبداع القصص منفردة كلعبة النهاية في كل قصص المتوالية، إذ تنتهي كلها بمفاجأة غير متوقعة أو طرفة. وتحتوي المتوالية أحيانا على أكثر من رباط، قد يكون الراوي والمكان، أو الراوي والموضوع، أو الشخصية والموضوع وغيرها[7]. وثمةَ نوعان من المتوالية القصصية: المتوالية البسيطة والمتوالية المركبة، البسيطة كما عُرفت في الفقرة السابقة، بينما تتكون المركبة من متواليتين قصصيتين بسيطتين أو أكثر.

فالمتوالية جنسٌ أدبيٌّ جديد يراوغ بين جنسين قديمي النشأة هما الرواية والمجموعة القصصية ويراوح في المنطقة المربكة بينهما، أخذ من كلِّ واحدٍ منهما صفات معينة، فالرواية عمل يتسم بالترابط الكلي، ويصل الانسجام فيها إلى أقصى حد له، والمجموعة القصصية عمل لا توجد أي صلة ورباط بين قصصه، وفي المساحة بينهما نجد المتوالية القصصية، فكلما اتجهت المتوالية نحو الرواية زاد ترابطها وكلما اتجهت نحو المجموعة القصصية تلاشت الروابط[8] .

ويرى أحدُ النقّاد أنَّ المتوالية القصصية هي (مجموعة القصص القصيرة المتكاملة) أو(مجموعة القصص) أو(حلقة القصص)، ويرى أيضًا أنّها نوعٌ أدبيٌّ يقع بين الرواية والمجموعة القصصية[9]، وأنَّ

هذا النوع يحقق للقارئ متعتين في وقت واحد: "متعة الإطار المغلق لكل قصة قصيرة مفردة، ومتعة الإطار المرن المفتوح، حين يسعى القارئ لملاحظة ما يجمع بين القصص، ومن ثم تصبح متوالية القصص كتابا مفتوحا على احتمالات مرهونة بقدرة القارئ"[10].إذن فهي جنسٌ أدبيٌّ يمثل وحدة أدبية متكاملة ومشروع سردي متماسك أُلّف وكُتب ليكون عملًا إبداعيًا متماسكًا.

فالمتوالية القصصية جنس أدبي يتوسط الرواية والمجموعة القصصية، فيه خصائص من الاثنين، يشبه المسبحة التي تتكون من مجموعة من الخرز، كل خرزة لها بنية مستقلة لكنّها تشبه الخرز الباقية وترتبط معها برباط وهو الخيط الذي يربط جميع الخرز، وله بداية ونهاية وينتهي إلى تقاطع وهو الذي يجمعها ويختمها. مجموعة قصص كتبها كاتبها في آن واحد، قصصها مرتبطة بواحد أو بأكثر من العناصر السردية على ألّا يكون (الحبكة)[11].

ثالثًا: المتوالية القصصيّة في التراث العربي السردي

ومما لا يقبل الشك وما هو بائن لنا إنَّنا لو أجلنا النظر في تراثنا السردي وعدنا له باحثين عن أنماطٍ سردية لوجدناه غنيًا خصبًا يضمُّ العديدَ من الأنواع السردية كالرواية والقصة القصيرة والقصة القصيرة جدا، وكذلك بعد التفكير والتنقيب اتّضح لنا أنّ المتوالية القصصية موجودة بالفعل في تراثنا العربي السردي، فعلى الرغم من حداثة المصطلح إلّا أنّ التطبيق العملي موجودٌ لها، فالعقلية العربية الخصبة لم يصعب عليها الإتيان بالمتواليات السردية أو المتوالية القصصيّة.

ومن ذلك كتاب (ألف ليلة وليلة)، فكلنا نعلمُ أنّه ليس رواية ولا مجموعة قصصية ولا مقامة، بل هو عمل سردي يتكون من مجموعة من القصص المتشعّبة والمترابطة برباط أو أكثر، حيث يمكن قراءة كل قصة منها على حدة، ويمكن اجتزاء مجموعة قصصٍ منها من دون أنْ يحدث أي تغيير في بنيتها، وكذلك يمكن إضافة مجموعة قصص تشبهها من حيث البناء والفكرة وكذلك لا يحدث أي تغيير في بنيتها.

ولو دققنا في القصص وتأملنا لوجدنا فيها مجموعة من الروابط: تأتي الشخصيات الرئيسة في طليعتها لا سيما شخصيتا (شهرزاد وشهريار)، أما باقي الشخصيات فعلى الرغم من كونها متغيرة في كل قصة إلّا إنّها من حيث الصفات المنسوبة لها يمكننا أن نقول أنّها نمطية في أغلب القصص، وفي الوقت نفسه شخصية شهرزاد هي راوٍ مشارك في الأحداث ومتكرر في جميع القصص فضلًا عن كونها شخصية رئيسة. فهنا يمكننا القول أنَّ الرباط الثاني هو الراوي المشارك.

والرباط الآخر والّذي في غاية الأهمية هو الفكرة التي ترتكز عليها القصص بأكملها، وهي رغبة شهرزاد في الاستمرار في السرد لرغبتها في الحياة، حيث تتوقف عند حدٍّ معين من سرد الأحداث حفاظًا على حياتها من بطش شهريار، فتعود في الليلة اللاحقة لتكمل أحداثَ القصة وتستكمل سردها.

أمّا الأماكن فلا يمكننا عدّها عنصرًا متكررًا أو رباطًا يربط بين القصص لأنّها مختلفة ومتنوعة. أما الزمان فكذلك مختلف ومتداخل، فالزمن الذي تروي شهرزاد الأحداث به يمكن أن نسميه الزمن الإطاري للقصص كلها، وبعدها تدخلنا في أزمان مختلفة منها موغلة في القدم ومنها معاصرة لهما. ولعلنا أصبنا حين قلنا أنَّ ألف ليلة وليلة تضم زمنين سرديين: أولهما الزمن الخارجي، وثانيهما الزمن الداخلي.

فبما أنَّ كتاب ألف ليلة وليلة يضم مجموعةً من القصص المترابطة فيما بينها بأكثر من رباط ولا يمكننا عدّها روايةً ولا مجموعة قصصية، فهي متوالية قصصيّة، حيث تنطبق عليها كلُّ صفات وخصائص المتوالية القصصية.

ولو بحثنا أيضًا في إرثنا العربي عن إمكانية وجود المتواليات القصصيّة لاستوقفنا كتاب (مقامات بديع الزمان الهمذاني)، فمن حيث البنية والتركيب هو كتاب يضم مجموعةً من القصص، وكلها تُروى على لسان عيسى بن هشام ، ويربطها وحدة الموضوع حيث تقوم كل القصص على فكرة الكدية والتحايل.

وقد كُتب في هذا المضمار بحثٌ أكاديميٌّ أثبتتْ فيه الباحثة أنّ مقامات بديع الزمان الهمذاني متوالية قصصيّة إذْ "إن لكل مقامة بنية سردية مستقلة توافرت فيها عناصر البنية السردية ومنها الشخصية وتنوع أنماطها في النصوص ما منح كل نص سمة التفرد، وقد تعددت الطبقات التي كان الهمذاني يستوحي شخصياته منها فعبّرت المقامات ببنيتها الفنية عن التركيب الطبقي للمجتمع فأخذت الشخصية الراقية حيزًا كبيرًا في القصة بينما كان أصحاب الحِرف والصناعات شخصيات مهمشة فيها"[12].

أمّا الرباط الثاني فهو الراوي وهو عيسى بن هشام، حيث كان راويًا مستترًا ناقلًا للأحداث المرويّة ومشاركًا بها، وأحيانا يكون راويًا شاهدًا فقط . وكان عيسى بن هشام يقوم بدورين: دور الراوي والدور الثاني شخصيته في جميع المقامات.

ورباط آخر هو لحظة التنوير، وهو الموقف الذي يتمُّ به الكشف عن أبي الفتح الإسكندري، حيث كانت أسلوبًا متبعًا في أغلب المقامات[13].

فكتاب (مقامات بديع الزمان الهمذاني) هو مجموعة من القصص كُتب كمشروع واحدٍ متماسكٍ، وإنَّ إسقاط نظرية المتوالية القصصيّة عليه ليس عبثًا؛ بل هو أمرٌ في غايةِ الأهمية ودليل واضح على مدى تطور وسمو العقلية العربية وتمكنها من الكتابة في مختلف الأجناس السردية ومدى غزارة نتاجاتها وكيف يمكن أنّ ينبثق جنسًا أدبيًا مائزًا من تلك العقلية الخصبة وفي تلك المدة الزمنية المتقدمة.

رابعًا: التوابع والزوابع بوصفها متواليةً قصصيّة

يتكون كتاب التوابع والزوابع من حيث البناء العام من مُدخل وأربعة أقسام، وكل قسم يضم موضوعًا أو وقفةً معينةً ذات طابع سردي يشبه إلى حدٍّ قريب جدا القصة القصيرة بكلِّ ما فيها من عناصرٍ سرديّة، من شخصيات وراوٍ ومكان وحبكة، ويتكرر هذا التكنيك السردي في كل قصص الكتاب.

لكننا لو ذوبنا هذه العنوانات مع تحفظنا على التقسيم الموضوعي المتبع في إدراج تلك القصص، لوجدناه كتابًا يضمّ ست عشرة قصةً، كل القصص حدثت في مكان مُتخيل واحدٍ وهو عالم الجن، وكلها تتحدث عن موضوع واحد وهو الأدب بشقيه الشعر والنثر، وكلها لها غاية واحدة وهي إثبات التفوق والتمكن البياني واللغوي والمقدرة الشعريّة للشخصية الرئيسة، والراوي في جميع القصص هو الراوي المشارك في الأحداث وهو الشخصية الرئيسية ذاتها.

أمّا أسلوب تلك القصص فهو قائم على الحجاج والجدال في سبيل المنافسة وإثبات الذات وتعظيمها وأنَّها تجاري الآخر أو تفوقه، وهذا الأسلوب هو الغاية التي من أجلها تُسرد كل هذه القصص وتترابط بكل هذه الروابط، ومن أجله كُتبت هذه المتوالية السردية.

وعندما نكمل قراءة هذه القصص المتوالية ستتكون عندما نظرة عامة وشاملة للمكان الذي حدثت به تلك القصص، ذلك العالم المُتخيّل من قبل ابن شُهيد، حيث سندركه ونفهم خباياه ونتعرف على من يعيش به من أنسٍ وجنٍ وحيوان أيضا.

ويمكننا في الوقت ذاته أن نقدم ونؤخر في ترتيب القصص، ونحدث تغييرًا في تسلسلها من دون أنْ يحدث خللًا في البناء الفني والدلالي للكتاب.

ويكون الرباط في المتوالية أي عنصر من عناصر السرد ما عدا الحبكة، لأنه لو توفرت في القصص حبكة متنامية من أولى القصص حتى آخر قصة لأصبحت رواية، وكذلك قصص (ابن شُهيد) في التوابع والزوابع مجموعة قصص كل واحدة منها تمثل قطعة سرديّة مستقلة نسبيًّا عن باقي القصص، الّا أنَّ ثمة رباط متّصل بينها وهو عنصر سرديّ واحد أو أكثر كما سنبينه لاحقًا.

أما من حيث نوع المتوالية فهو متوالية مركبة؛ لأنَّ الكتاب مقسم على عدة أقسام ، وكل قسم يحمل عنوانًا ويضمُّ مجموعةً من القصص، وكل قسم من الكتاب يمثل متوالية قصصية قائمة برأسها، ويأتي بعده

قسمٌ آخر يضمُّ قصصًا أخرى منفصلة الحبكة تضمُّ شخصياتٍ أُخر. مع تكرار الشخصيّتين الرئيسيتين وهما (ابن شُهيد وزهير بن نمير)، وهذا البناء السردي المتداخل هو الذي جعلنا نضمها لنوع المتوالية القصصيّة المركبة. وهنا لابدَّ من توضيح مفهوم المتوالية القصصية المركبة لإثبات صحة ما ذهبنا إليه، وهي أن تضم المتوالية الرئيسة متواليات فرعية، معنونة بعناوين أو مرقمة بأرقام، تضم كل واحدة منها قصصا قصيرة أو قصص قصيرة جدا، أحيانا تكون متساوية في عدد القصص وأحيانا لا تتساوى[14].

فبعد إسقاط سمات وخصائص المتوالية القصصية على كتاب التوابع والزوابع اتّضح لنا أنّه بإمكاننا أن نجنسها على أنّها متوالية قصصية وذلك للتشابه الكبير بين بنية الكتاب وبنية المتوالية القصصيّة، وهذا ما سنبينه .

خامسًا: روابط المتوالية القصصيّة في كتاب التوابع والزوابع

أ : الشخصيّة

تعدُّ الشخصيّة عنصرًا مهمًا من عناصر السرد القصصي، حيث يمكننا وصفها بأنّها عماد القصة، حيث تتفاعل الشخصيات فيما بينها وتحرك الأحداث، إذ تكون هذه مَهمة الكاتب في رسم الشخصية وإسناد الأدوار لها وتقسيمها ما بين شخصية رئيسة وشخصية ثانوية، أو شخصية معدومة الدور تكون جزءًا من الوصف ولا دور لها يُذكر. "فالأشياء والأحداث توجد بطريقة أو بأخرى بسبب من الشخصية، ولا تمتلك صفة التماسك والمعقولية إلا من خلال الشخصية؛ فهي الشيء الذي يمنحها صفة التماسك ويجعلها ممكنة الإدراك"[15]، فبما أنَّنا نتحدث ونتعامل في بحثنا هذا مع القصص القصيرة التي يضمها كتاب التوابع والزوابع، فسيكون محور عنايتنا هو الشخصية في القصة القصيرة؛ فالقصة القصيرة بطبيعتها تركز على صفة مسيطرة تتمتع بها الشخصية الرئيسة، أما الشخصيات الثانوية فهي قليلة فيها ولا تتعدى أن تكون شخصية أو اثنتين يؤديان دورًا ضروريا في بنائها"[16].

والشخصيات في القصة على نوعين منها الشخصية المدورة وهي التي تتفاعل مع الأحداث وتتطور مع المواقف، والشخصية المسطحة وهي التي تبقى على حالها من بداية القصة حتى نهايتها[17].

أمَّا الشخصية في المتوالية القصصيّة ففي كل قصة منها يظهر جانبٌ من الشخصية، أو نمطٌ معينٌ من أنماطِ حياتها، أو سلوكٌ معينٍ لها. وإذا نظرنا لكل قصة من قصص المتوالية على حدة، سنجد أنّ كل قصة منها تتناول جانبًا من جوانب تلك الشخصية أو تنظر إليها في كل قصة من زاوية معينة، أو تتناول في كل قصة حقبة زمنية من حقب حياتها وبالتوالي حتى تكتمل قصص المتوالية لتحيط القصص بتلك الشخصية إحاطة تامة وتعطينا صورةً شاملةً وكاملةً عنها[18]

وفي كتاب التوابع والزوابع نجدُ أنَّ هذا الكلام ينطبق تمامًا على تقنيّة الشخصية فيه، فشخصية (ابن شهيد) هي شخصية رئيسة وثابتة في جميع القصص ولها الصادرة في مجريات الأحداث.

ولابدَّ من الإشارة إلى أنَّ السرد في رسالة التوابع والزوابع هو سرد متخيل، آتٍ من مخيّلة (ابن شهيد)، والذي يمثل الشخصية الرئيسة في جميع القصص، حيث ينتقل الراوئي بين عالمين عالم الواقع وعالم الخيال، ويبني ويوضح مكانته الأدبيّة والنقدية عبر أحداث يتخيلها و يرسمها هو، ويرسم في تضاعيفها شخصيات تشاركه الأحداث بشكلٍ يسيرٍ في القصة، ويحرك معها الأحداث وفق غايته وهدفه المنشود. وينتقل لقصة أخرى صانعًا شخصيةً أخرى تتحرك معه وفق حبكة جديدة مختلفةً تماما عن الحبكة الأولى ومنقطعة عنها، وليس بينهما سوى إنّهما كُتبا من قبل ابن شهيد ليؤديا الغايةَ نفسها.

ومما يجب ذكره أنَّ الشخصيات في النص السردي التي يتعامل معها (ابن شهيد) ويرسمها ويجعل لها هوية ويتحرك معها في أجواء النص كلها من الجان وهو الإنسان الوحيد كشخصية معينة في النص، أمّا الرموز الأدبية والنثرية التي ذكرها كلها ما هي إلّا عنصرًا من عناصر الوصف لا أكثر ، وعناصر مساعدة في رسم حبكة كل قصة على حدة وتحريك أحداثها.

وتشاركه في رسم الأحداث شخصية رئيسة أخرى تتكرر معه في القصص كلها، وهي شخصية (زهير بن نمير) حيث تساعده في نيل الاعتراف من الجن بأنّه الأفضل وأنَّ شعره ونظمه الأجزل وأنّه شاعرٌ وخطيبٌ لا يُجارى. حيث يدّعي (ابن شُهيد) أنَّ (زهير بن نمير) برز له يومًا في أحد خلواته، وجاء ذلك على لسانه قائلًا :" وكان لي أوائل صبوتي هوى اشتد به كلفي، ثم لحقني بعد ملل في أثناء ذلك الميل. فاتفق أن مات من كنتُ أهواه مدة ذلك الملل، فجزعت وأخذت في رثائه يوماً في الحائر، وقد أبهمت عليّ أبوابه....، فأرتج عليّ القولُ وأفحمتُ ، فإذا أنا بفارس بباب المجلس على قد اتكأ على رمحه ، وصاح بي : أعجزاً فرس أدهم كما بقل وجهه يا فتى الإنس ؟ قلت : لا وأبيك ، للكلام أحيان ، وهذا شأن الإنسان ! .....فأثبت إجازته .."[19]

وعلى هذه الشاكلة يستمر (ابن شهيد) في الظهور هو وصاحبه كشخصيتين رئيسيتين في جميع القصص ويقومان بنفس المَهمة، ويشكلان رباطًا في غاية الأهمية ويقوما بدورٍ مهم في إدراج رسالة التوابع والزوابع في محور المتوالية القصصيّة.

ثانيا: الرّاوي

يشكّلُ الرّاوي أهمية بالغة في المشهد السردي، فمن خلاله تصل إلينا صورة الشخصيات ورؤياها وأفعالها وأفكارها. وعرّف النقاد تقنية الراوي وبينوا أنواعه، حيث يُعرف بأنّه " وسيلة، أو أداة تقنية، يستخدمها الكاتب ليكشف بها عالم قصته، أو ليبث القصة التي يرويها"[20]، حيث تكون مهمته "تكشف لنا عن الحكاية وتعريها، وتجعلنا أكثر انسجاما وتعاطفا مع السارد"[21].

أمّا الراوي في رسالة التوابع والزوابع فهو راوٍ مشارك، ينقل الأحداث ويشارك فيها، ويروي لنا صورًا حدثت معه، وهو محدود العلم بالنسبة للشخصيات الأخرى التي تشاركه الحدث.

وثمة تعاريف وتوضيحات عدّة للراوي المشارك حيث وصفه عبد الرحيم الكردي قائلًا: "عندما يقترب الراوي من الشخصيات اقتراباً شديداً حتى يصبح واحداً منها فإن موقعه في هذه الحالة يمتزج بمواقعها، ويصبح الزمان الذي يتحدث فيه هو عينه زمانها الذي تتحرك خلاله، وفى الوقت الذى يتولى فيه الراوي فعل القص فإنه يشارك الشخصيات في صناعة الأحداث، ويتزاحم معها في صراعها مع الزمان، أو يشهد هذا الصراع ويراه بعينه، وهذا النوع من الرواة يسمى الراوي المشارك"[22].

فنحن نرى الأحداث من زاوية نظر (ابن شهيد) لكونه راويًا وشخصية رئيسة معًا، تتمحور حولها كل أحداث القصص بكل أقسامها، ولا تتغير مَهمته في كل القصص فهو منذ القصة الأولى راويًا مشاركًا؛ اتّضح ذلك وهو يروي قصته الأولى مع تابعه (زُهير بن نمير) الذي كان سببًا في جريان الأحداث في القصص التالية، حيث انبثقت منها القصصُ كلها، فقد جاء في القصة الأولى على لسان (ابن شُهيد) " فأثبت إجازته ، وقلت له : بأبي أنت ! من أنت ؟ قال : أنا زهير ابن نمير من أشجع الجن . فقلت : وما الذي حداك إلى التصور لي ؟ فقال : هوى فيك ، ورغبة في اصطفائك . قلت : أهلا بك أيها الوجه الوضاح ، صادفت قلباً إليك مقلوباً " ، وهوى نحوك مجنوباً ..."[23].

حتى القصة الأخيرة من الكتاب يستمر (ابن شُهيد) راويا مشاركًا في الأحداث معلقًا عليها وفق انطباعه الخاص عنها حيث جاء في القصة الأخيرة :"فقلت : يا أم خفيف ، بالذي جعل غذاءك ماء ، وحشا رأسك هواء ، ألا أيما أفضل : الأدب أم العقل ؟ قالت: بل العقل. قلت : فهل تعرفين في الخلائق أحمق من إوزة ، ودعيني من مثلهم في الحبارى ؟ قالت : لا. قلت : فتطلبي عقل التجربة ، إذ لا سبيل لك إلى عقل الطبيعة ، فإذا أحرزت منه نصيباً ، وبوأت منه بحظ ، فحينئذ ناظري في الأدب فانصرفت وانصرفنا"[24].

وبما أنَّ الراوي يستمر بنوع واحد في جميع القصص ويروي الأحداث من زاوية نظر واحدة وهي زاوية نظر (ابن شُهيد)، ويحمل رؤياه ويعبر عن أفكاره ويعلق بأسلوبه مازجا الجدَّ بالهزل

والسخرية في مواضع متفرقة في أغلب القصص، وهذا يعدُّ رباطا سرديًا في غاية الأهمية بين القطع السردية كلها مما يعزز ما ذهبنا إليه ونسعى إلى إثباته، بأنَّ رسالة التوابع والزوابع متوالية قصصيّة؛ لكونها مجموعة من القصص كُتّبت على أنّها مشروع أدبي واحد متماسك، تترابط قصصه بواحد من الروابط أو أكثر كما هو الحال في روابط القصص الماثلة بين يدينا.

ثالثا: المكان

المكان عنصر مهم من عناصر القصة، فهو الوعاء الذي يحتوي كل العناصر السردية الأخرى[25]. فلكل قصة شخصيات وأحداث ولابدَّ لهذه الأحداث أن لا تقع في الفراغ والشخصيات كذلك لا تتحرك في الفراغ، فالمكان والشخصيات يكملان ويصنعان بعضهما [26]. وتشترك عناصر السرد وتتناسج في تكوين الفضاء المكاني، وصولا إلى شعريته[27].
أما المكان في المتوالية القصصية فهو يشبه رقعة الشطرنج، كل قصة تمثل مربعا من مربعاتها، وعندما يكتمل ترتيب المربعات بما عليها من قطع تتضح وتكتمل الرقعة بأكملها، فتأتي كل قصة مكملة للأخريات، ولا ينطبق هذا الكلام عن المكان على جميع أنواع المتواليات، لكنه ينطبق على المتواليات التي تتمحور حول مكان محدد تقع فيه كل قصصها، فالمكان في المتواليات التي يكون عنصر المكان هو الرباط فيما بينها يكون بمثابة الخيط الذي يجمعها وينظمها ويجعل منها كلًّا لا يتجزأ، [28].

أمّا المكان في كتاب التوابع والزوابع فهو عالم الجن، فنجد (ابن شُهيد) وتابعه ينتقلون من مكان لآخر من هذا العالم، مسلطًا الضوء في كل قصة على جزء معين منه مبينًا من يقطنه، وما أن تنتهي القصص حتى تتكون عندنا صورة كاملة عن هذا العالم ومن فيه.
حيث يسرد في قصته مع(شيطان امرئ القيس) ويتخيل أنّه ذهب إلى وادٍ يقطنه ذلك الجان فيقول :"أذن له ، فقال: حل على متن الجواد ، فصرنا عليه ؛ وسار بنا كالطائر يجتاب الجَّو فالجوَّ، ويقطع الدّوَّ فالدَّوا ، حتى التمحتُ أرضاً لا كأرضنا ، وشارفت جواً لا كجونا ، متفرع الشجر، عطر الزهر ؛ فقال لي : حللت أرض الجن أبا عامر ، فيمن تريد أن نبدأ ؟ قلت : الخطباء أولى بالتقديم ، لكني إلى الشعراء أشوق . قال : فمن تريد منهم ؟ قلت : صاحب امرئ القيس . فأمال العينان إلى واد من الأودية ذي دوح تتكسر أشجاره ، وتترنم أطياره ، فصاح : يا عتيبة بن نوفل، بسقط اللوى فحومل ،ويوم دارة جلجل ، إلا ما عرضت علينا وجهك، وأنشدتنا من شعرك، وسمعت من الإنسي ، وعرفتنا كيف إجازتك له ! فظهر لنا فارس على فرس شقراء...."[29]. ثمَّ تتوسع دائرة الأماكن من خلال ذكر الأشخاص وأماكن تختص بهم.

ثمَّ يستمر براوية سلسلة الأحداث متممًا حبكتها مسلطًا الضوء على أماكن أخرَ من عالم الجن، لتتوسع عندنا الرؤيا عنه وعما يحتويه، حيث ينتقل بالأحداث إلى أماكن آخر من عالم الجن، وعلى وجه المثال ما جاء في قصة (صاحب أبي نواس) حيث يقول ابن شُهيد راويًا :"وسيرنا حتى انتهينا إلى أصل جبل دير حنة ، فشق سمعي فَرْعُ النواقيس ، فصحت : من منازل أبي نواس ، ورب الكعبة العلياء ! وسرنا نجتاب أديراً وكنائس. وحانات ، حتى انتهينا إلى دير عظيم تعبق روائحه ، وتصوك نوافحه. فوقف زهير ببابه وصاح : سلام على أهل دير حنة ! فقلت لزهير: أ وهل صرنا بذات الأكيراح ؟ قال :نعم. وأقبلت نحونا الرهابين ، مشددة بالزنانير ، قد قبضت على العكاكيز ، بيض الحواجب واللحي ، إذا نظروا إلى المرء استحيا ، مكثرين للتسبيح ، عليهم هذي المسيح . فقالوا: أهلا بك يا زهير من زائر ، وبصاحبك أبي عامر ! ما بغيتك ؟ قال : حُسَيْنُ الدنان . قالوا : إنه لفي شُرب الخمرة ، منذ أيام عشرة ، وما تراكما منتفعين به . فقال : وعلى ذلك . ونزلنا وجاؤوا بنا إلى بيت قد اصطفت دنانه ، وعكفت غزلانه....."[30].

وبالأسلوب ذاته يستمر في التنقل من مكان لآخر، فكل قصة من الرسالة يتّضح لنا مكان ويتبين لنا ما يكتنفه من جان، وما يدور بينه وبينهم من حوار، ينمُّ عن ذوق نقدي وأدبي عالٍ من الطرفين، بأسلوب لا يخلو من السخرية والتهكم.

فيبرز لنا عنصر المكان كرباط بالغ الأهمية يربط القصص بعضها ببعض، إذ شكّل عالم الجن فضاءً رحبًا للقصص كلها، فالمكان ليس عنصرًا عاديًا ووعاءً للأحداث فقط؛ بل عاملًا أساسيًا في تحقيق وحدة النص، ورباطًا سرديًّا يجعل من القصص المتفرقة متوالية قصصيّة لأنّها تتصف بصفة مهمة أنَّها وقعت في مكان واحد، وهو ذلك العالم المتخيل من قبل ابن شُهيد عالم الجان.

رابعا: الثيمة القصصيّة

ونعني بها المعنى الباطن للقصة والذي نلمسه بطريق غير مباشر، ويلمح لها الراوي تلميحًا خفيا، لكننا نلمسه من خلال الجو العام للقصة، بمساعدة المرجعيات الثقافية للروائي ، فمن خلالها نستشف ما ذهب إليه صاحب النص، وبما أنَّ ابن شهيد هو الشخصيّة الرئيسة في جميع قصصه وهو الروائي والراوي في آنٍ واحدٍ؛ فسنفهم ما يرمي إليه لأننا على دراية بتاريخه الأدبي. فالثيمة القصصية هنا تشكّل رباطًا مهمًا في القصص لأنَّها تتكرر في جميع القصص فتشكّل الأسلوب المتبع في ختام كل قصة.

فعندما نقرأ الكتاب ونحن في مطلعه نلتمس بشكل جلي رغبة (ابن شُهيد) في إثبات علوّ ذاته، وإبراز مقدرته اللغوية والشعرية، وإنَّ من يجاريه سيكون متأخرًا عنه. وتبرز هذه الرغبة الملحّة في كل تضاعيف القصص من أول قصة حتى آخر قصة، حيث يمكن أنَّ نعدّها أنَّها الفكرة العامة التي ترتكز عليها القصص كلها، والغاية التي كُتبت من أجلها القصص جميعا.

ويبرز هذا الأسلوب في مدخل الكتاب، وهو القصة الأولى من كتاب التوابع والزوابع والتي تحمل عنوان (زهير بن نمير) وهو تابعه كما جاء في تضاعيف القصص، حيث يقول (ابن شهيد) بلغة الراوي للأحداث :" العجب العجاب :"كنت أيام كُتُّاب الهيجاء ، أحنُّ إلى الأدباء ، وأصبو إلى تأليف الكلام ؛ فاتبعت الدَّواوين ، وجلست إلى الأساتيذ ، فنبض لي عرق الفهم ، ودر لي شريان العلم ، بمواد روحانية ؛ وقليل الإلتماح من النظر يزيدني ، ويسير المطالعة من الكتب يفيدني ، إذ صادف شنُّ العلم طبقة . ولم أكن كالثلج تقتبس منه ناراً، ولا كالحمار يحمل أسفاراً . فطعنت ثغرة البيان دراكًا، وأعلقت رجل طيره أشراكًا ، فانثالت لي العجائب ، وانهالت علي الرغائب"[31].

ففي هذا النص المقتبس من مدخل الكتاب وتوطئته والذي يشكل أولى القصص ورباطًا مهمًا يربط القصص بعضها ببعضٍ ، يتّضح لنا أنَّ غاية (ابن شهيد) إظهار قدرته البيانية والشعرية، وكذلك في القصص الأخرى نجده واضعًا نفسه ندًا لكبار شعراء العرب متغلبًا عليهم. وكما بيّنا أنَّ لهذه الغاية بعدٌ نفسيٌّ عاشه (ابن شُهيد) ، وكما ذكر محقق الكتاب وغيره أنّ له الكثير من المبغضين والحاسدين الّذين لاقى منهم أذيةً وعنتًا، فجاء كتابه هذا للرد عليهم والتقليل من شانئهم[32] والتغلب عليهم شعرًا وبيانًا وفصاحةً من خلال إثبات ذاته الشعرية.

ويبرز بشكلٍ جلي استغلال (ابن شهيد) هذا السرد المُتخيل للفخر بنفسه وأنّه يجاري أفضل الشعراء والكتّاب أو يفوقهم، فكل القصص تنتهي بتفوقه على أقرانه ومن ذلك ما جاي في قصته مع صاحبي الجاحظ وعبد الحميد الكاتب، إذ ختمها مفتخرًا بنفسه قائلًا: "فاستحسناها ، وضحكا عليها، وقالا : إنَّ لسجعك موضعاً من القلب ، ومكاناً من النفس ، وقد أعرته من طبعك ، وحلاوة لفظك ، وملاحة سوقك ، ما أزال أفْنَه ، ورفع عينه ، وقد بلغنا أنك لا تجازى في أبناء جنسك ، ولا يمل من الطعن عليك ، والاعتراض لك..."[33].

وعلى الوتيرة نفسها يستمر في جميع القصص ليثبت لنفسه الجدارة ويضع نفسه في موضع مائزٍ متفوقٍ على أقرانه، وأنَّ له جنٌّ يلهمه النبوغ الشعري، حيث يقول في قصته مع تابع أبي إسحاق بنَ حمام ذاكرًا رأيهم النقدي به: "إنا لتخبط منك ببيداء حيرة ، وتفتق أسماعنا منك بعبرة ، وما ندري أنقول : شاعرٌ أم خطيبٌ؟ فقلتُ : الإنصاف أولى ، والصدع بالحق أحجى ، ولا بد من قضاء . فقالا : اذهب فإنك شاعر خطيب. وانفض الجمع والأبصار إلى ناظرة ، والأعناق نحوي مائلة"[34]. وعلى هذا المنوال يستمر في

جميع القصص متباهيا بنفسه معظمًا ذاته، مما يجعلنا نعدُّ هذه الفكرة رباطًا مهمًا يربط القصص جميعها ويجعل القصص تندرج تحت جنس المتوالية القصصيّة بوضوح لا غبارَ عليه.

خاتمة البحث ونتائجه

بعد هذه الرحلة البحثية المقتضبة قدر المستطاع توصلت في هذا المضمار لما يلي:

1- إنَّ من المتوالية القصصية من حيث التنظير النقدي كجنس أدبي مستقل في الأوساط النقدية قديمًا، فالتنظير حديث، لكنّ التطبيق الفعلي لها موجودٌ في إرثنا السردي القصصي والشواهد واضحة.

2- المتوالية القصصية هي مشروع أدبي واحد متماسك وُضع ليكون كتابًا كاملاً، يضمُّ مجموعة من القصص المرتبطة برباطٍ أو أكثر، وهذه الروابط هي التقنيات السرديّة أمّا الشخصية أو الزمان أو المكان أو الراوي، أو الفكرة العامة.

3- حين تقبنا في تاريخنا السردي وجدنا أعمال سرديّة كبرى تندرج ضمن جنس المتوالية القصصيّة، ألا وهي حكايات (ألف ليلة وليلة)، هو عمل سردي يتكون من مجموعة من القصص المتشعبة والمترابطة برباط أو أكثر، حيث يمكن قراءة كل قصة منها على حدة، ويمكن حذف بعض القصص منها وإضافة بعض أُخر، من دون حدوث أي تغيير في معناها وبنائها القصصي.

4- ترتبط حكايات (ألف ليلة وليلة) بأكثر من رباط وهو الراوي وهي (شهرزاد)، وكذلك الشخصيات الرئيسة وهما (شهرزاد وشهريار)، وثمة رباط آخر وهو رغبة شهرزاد في البقاء على قيد الحياة هو السبب الرئيس في استمرار هذا السرد العجائبي.

5- ولا يجافينا الصواب حين صنفنا رسالة التوابع والزوابع على أنّها متوالية قصصيّة، فهي ترتبط بأكثر من رباط يجعلون من القصص مشروعًا أدبيًّا واحدًا متماسكا، وتأتي الشخصية في مقدمة هذه الروابط، حيث تتكرر الشخصيات الرئيسة في جميع القصص وهما (ابن شُهيد وزهير بن نمير)، وترافقهما شخصيات أُخر متنوعة في كل قصة، منها تقوم بدور الشخصية الرئيسة ومنها شخصيات ثانوية تؤدي وظيفتها من حيث الوصف، إلّا أنَّ شخصيتي (ابن شهيد) وتابعه هما الشخصيتات البارزتان والرباط الأقوى في القصص جميعا.

6- أما الرّاوي فقد شكّلَ رباطًا في غاية الأهمية في القصص جميعها، حيث جاء على نمطٍ واحدٍ وهو الراوي المشارك في الأحداث، إذ كانت الأحداث تُروى على لسان (ابن شهيد) في جميع القصص، وهو الروائي والراوي المشارك في آنٍ واحد.

7- شكّل المكان عنصرًا مهمًا ورباطًا واضحًا للقصص، فبعد قراءة قصة بعد قصة تتكون عندنا صورة كاملة عن عالم الجن وما يكتنفه من إنس وجن وحيوانات، ولم يغفل ابن شهيد في إطلاق الآراء النقدية على لسانها، وإعطاء قصب السبق لنفسه من خلال الحوارات الأدبية والنقدية التي سجلها معها. فمن خلال هذه القصص تتكون عندنا رؤية كاملة عن عالم الجن وأسماء مناطقه وما يكتنفها.

8- أمّا الثيمة القصصيّة فقد شكّلت رباطًا سرديًّا مهمًا وواضحًا، جمع قصص التوابع والزوابع فكانت كالخيط الذي يجمع خرز المسبحة، فالغاية من كتاب التوابع والزوابع من أولى القصص حتى أخراهنّ هي إثبات المقدرة الأدبية والنقدية في الشعر والنثر لابن شهيد وأخذ شهادة الجن والأنس له والإقرار بتفوقه، وهذا بالطبع رابطٌ سرديٌّ واضحٌ لا يمكن إغفاله.

هوامش البحث

(1) وفيات الأعيان، ١١٨.

(2) معجم الأدباء: ٣٥٨.

(3) الحلة السيراء: ٢٣٨– ٢٣٩.

(4) ينظر: الأدب الأندلسي"موضوعاته وفنونه": ٦٤١– ٦٤٢.

(5)ينظر: رسالة التوابع والزوابع: ٧٠.

(6)المتوالية القصصيّة جنسا أدبيا، صابرين خلف حسين، رسالة ماجستير،كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة واسط،٢٠١٨: ٩٣.

(7) المصدر نفسه:٩٣.

(8) ينظر: تداخل الأنواع في القصة المصرية القصيرة 1960ـ1990: 267.

(9)القصة الرواية المؤلف (دراسات في نظرية الأنواع الأدبية المعاصرة):14.

(10) المصدر نفسه :١٤.

(11)المتوالية القصصيّة جنسا أدبيا:١٢.

(!12) مقامات الهمذاني بوصفها متوالية قصصية:١٥٨.

(13) ينظر: المصدر نفسه:١٥٨.

(14) المتوالية القصصيّة جنسا أدبيا: ١٢٥.

(15) التخييل القصصي، الشعرية المعاصرة: 57.

(16)القصة القصيرة عند أحمد خلف "دراسة فنية " :١٤.

(17) ينظر: منتديات المصطبة /الأقسام الأدبية /منتدى القصص والروايات (أهم عناصر القصة القصيرة)، 2012/6/23.

(18) ينظر: المتوالية القصصية حنسا أدبيا: ٢٢.

(19) رسالة التوابع والزوابع : ٨٧–٨٩.

(20) التقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي: ٣٥.

(21) البناء السردي في شعر راشد عيسى:١٥٩.

(22) الراوي والنص القصصي:٢٠.

(23) رسالة التوابع والزوابع:٨٩.

(24) المصدر نفسه: ١٥٢.

(25) ينظر : التجريب في القصة العراقية القصيرة حقبة الستينات:230.

(26)ينظر : المكان في القصة القصيرة، عبد الكريم عليان: رابطة أدباء الشام،21/ كانون الثاني / 2012.

(27) ينظر : ما يخفيه النص قراءات في القصة والرواية:13.

(28) المتوالية القصصيّة جنسا أدبيا:٢٣.

(29) رسالة التوابع والزوابع:٩١.

(30) رسالة التوابع والزوابع: ١٠٥.

(31) رسالة التوابع والزوابع: .88

(32)ينظر : رسالة التوابع والزوابع :٧٠.

(33)المصدر نفسه:١٢٢.

(34) رسالة التوابع والزوابع:١٣٢.

مصادر البحث ومراجعه

- ابن خلكان ،وفيات الأعيان، ١٩٧٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ترجمة وتقديم : د. خيري دومه، مراجعة :أ.د :سيد البحراوي،دار شرقيات للطبع والتوزيع، مصر، القاهرة، ط1.

- تودوروف كنت بينيت كلر، كوهن شولز لوشر ماي، جولدمان زيد فوكو، ١٩٩٧،القصة الرواية المؤلف (دراسات في نظرية الأنواع الأدبية المعاصرة
- حسين، صابرين خلف ٢٠١٨،المتوالية القصصيّة جنسا أدبيا، رسالة ماجستير، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة واسط،
- دومة، خيري،١٩٩٨،تداخل الأنواع في القصة المصرية القصيرة 1960ـــــ1990، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د .ط
- رسالة التوابع والزوابع:
- زيتوني ،لطيف،٢٠٠٢،معجم مصطلحات نقد الرواية ، عربي انجليزي ، فرنسي، دار النهار للنشر، لبنان، ، ط 1.
- الشكعة، مصطفى ،١٩٧٤، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار العلم للملاين، بيروت ، ط١.
- عبد علي ،حسين عيال،التجريب في القصة العراقية القصيرة حقبة الستينات، دار الشؤون الثقافية العامة،ط 1.
- العتلة، شيماء خالد،٢٠٢٠، البناء السردي في شعر راشد عيسى، دار الخليج للنشر والتوزيع،ط١.
- عليان، عبد الكريم،٢٠١٢المكان في القصة القصيرة، رابطة أدباء الشام،21/ كانون الثاني
- العيد، يمنى،١٩٩٠،اتقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، ، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط١.
- القضاعي ابن الأنباري، ١٩٩٧: الحلة السيراء، دار المعارف، القاهرة، مصر.

- الكردي، عبد الرحيم ،٢٠٠٦،الراوي والنص القصصي،مكتبة الآداب، مصر، القاهرة،ط١.
- كنعان، شلوميت كنعان،١٩٩٥،التخييل القصصي، الشعرية المعاصرة،ترجمة : لحسن حمامة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1،.
- منتديات المصطبة /الأقسام الأدبية /منتدى القصص والروايات (أهم عناصر القصة القصيرة)، 2012/6/23.
- النصير،ياسين،٢٠١٢ ما يخفيه النص قراءات في القصة والرواية، إصدارات اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين في البصرة، ط1.
- هادي، رقية،٢٠٢٠،مقامات الهمذاني بوصفها متوالية قصصية،رسالة ماجستير، جامعة واسط ، كلية التربية للعلوم الإنسانية،
- ياقوت الحموي : معجم الأدباء،١٩٩٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،.